الباب الثاني عشر
في ذكر تغيظها وزفيرها

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء:١٠١، ١٠٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان:١١، ١٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ [الملك:٦-٨] .

والشهيق : الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار . قال الربيع ابن أنس : الشهيق في الصدر . وقال مجاهد في قوله : ﴿ وَهِىَ تَفُورُ ﴾ قال : تغلي بهم كما يغلي القدر . وقال ابن عباس : ﴿ تَمَيَّزُ ﴾ تفرق . وعنه قال : يكاد يفارق بعضها بعضًا وتتفطر . وعن الضحاك : ﴿ تَمَيَّزُ ﴾ تفطر . وقال ابن زيد : التميز : التفرق من شدة الغيظ على أهل معاصي الله ـ عز وجل ـ غضبا له ـ عز وجل ـ وانتقاما له .

١ ـ (٩٥) وخرج ابن أبي حاتم من حديث خالد بن دريك عن رجل من الصحابة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **من تقوَّل عليّ ما لم أقل فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا** » قيل : يا رسول الله ، وهل لها عينان ؟ قال : « **نعم ، أو لم تسمع قول الله عز وجل** : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ » [1] [الفرقان:١٢] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٦٦٧ (١٤٩٩٩) . وقد أورده ابن كثير في تفسيره ٣/ ٣١٠ .
* **وخالد بن دريك** ـ كما في التقريب ١/ ٢١٢ (٢٤) ـ ثقة يرسل ا.هـ .

روى أبو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن العبد ليجر إلى النار فتشهق إليه شهقة البغلة إلى الشفير ، ثم تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف [١] . خرجه ابن أبي حاتم .

وقال كعب : ما خلق الله من شيء إلا وهو يسمع زفير جهنم غدوة وعشية ، إلا الثقلين الذين عليهما الحساب والعذاب . خرجه الجوزجاني .

وفي كتاب الزهد لهناد بن السري عن مغيث بن سمي قال : إن لجهنم كل يوم زفرتين يسمعهما كل شيء إلا الثقلين اللذين عليهما الحساب والعذاب [٢] .

وعن الضحاك قال : إن لجهنم زفرة يوم القيامة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر ساجدًا يقول : رب نفسي نفسي .

وعن عبيد بن عمير قال : تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا وقع لركبتيه ترعد فرائصه يقول : رب نفسي نفسي [٣] .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن الضحاك قال : ينزل الملك الأعلى في بهائه وملكه ، مجنبته اليسرى جهنم فيسمعون شهيقها وزفيرها فيندون .

وعن وهب بن منبه قال : إذا سيرت الجبال فسمعت حسيس النار وتغيظها وزفيرها وشهيقها ، صرخت الجبال كما تصرخ النساء ، ثم يرجع أوائلها على أواخرها يدق بعضها بعضًا [٤] . خرجه الإمام أحمد .

وفي تفسير آدم بن أبي إياس ، عن محمد بن الفضل ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن أبي الضحى ، عن ابن عباس قال : تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حول جهنم ، فتطيش عقولهم فيقول الله ـ عز وجل : ماذا أجبتم المرسلين ؟ قالوا : لا علم لنا ، ثم ترد عليهم عقولهم

---

(١) ابن أبي حاتم في تفسيره ٨/ ٢٦٦٨ (١٥٠٠٢) ، وابن كثير في تفسيره ٣/ ٣١١ .
(٢) انظر : الزهد لهناد بن السرى ١/ ٢٧٩ (٢٤٩) . المكتبة الشاملة . الإصدار الثانى « كمبيوتر » .
(٣) انظر : حلية الأولياء ٣/ ٢٧٣ .
(٤) انظر : الزهد للإمام أحمد صـ ٤٤٧.

فينطقون بحجتهم وينطقون بعذرهم . محمد بن الفضل هو ابن عطية متروك [١] .

قال آدم : وحدثنا أبو صفوان ، عن عاصم بن سليمان الكوزي ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفرقان : ١٢] المكان البعيد مسيرة مائة عام ، وذلك أنه إذا أتي بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك ، ولو تركت لأتت على كل بر وفاجر ، ثم تزفر زفرة لا يبقى قطرة من دمع إلا بدرت ، ثم تزفر الثانية فتنقطع القلوب من أماكنها تبلغ اللهوات والحناجر وهو قوله : ﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ [الأحزاب:١٠] . وعاصم الكوزي ضعيف جدًّا [٢] .

وقال الليث بن سعد عن عبيد الله بن أبي جعفر : إن جهنم لتزفر زفرة تنشق منها قلوب الظلمة ، ثم تزفر أخرى فيطيرون في الأرض حتى يقعوا على رؤوسهم [٣] . خرجه عبد الله بن الإمام أحمد .

وروى أسد بن موسى ، عن إبراهيم بن محمد ، عن صفوان بن سليم ، عن عطاء بن يسار ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، مثله .

وخرج أبو نعيم وغيره من رواية عبد الرحمن بن حاطب قال : قال عمر ـ رضي الله عنه ـ لكعب : خوفنا ، قال : والذي نفسي بيده إن النار لتقرب يوم القيامة لها زفير وشهيق ، حتى إذا دنت وقربت زفرت زفرة ما خلق الله من نبي ولا شهيد إلا وجب لركبتيه ساقطًا ، حتى يقول كل نبي وكل صديق وكل شهيد : اللهم لا أكلفك اليوم إلا نفسي ، ولو كان لك يا ابن الخطاب عمل سبعين نبيًّا لظننت أن لا تنجو ، قال عمر : والله إن الأمر لشديد [٤] .

---

(١) انظر ترجمته فى : تقريب التهذيب ٢/ ٢٠٠ (٦٢٦) ، وميزان الاعتدال ٤/ ٦ (٨٠٥٦) .

(٢) انظر ترجمته في : الجرح والتعديل : للرازي ٦/ ٣٤٤ (١٩٠١) ، وميزان الاعتدال : ٢/ ٣٥٠ (٤٠٤٧) .

(٣) الإمام أحمد فى : الزهد صـ ٤٤١ .

(٤) حلية الأولياء ٥/ ٣٧١ .

ومن رواية شريح بن عبيد قال : قال عمر لكعب : خوفنا ، قال : والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره إلا خر جاثيًا على ركبتيه يقول : رب نفسي نفسي ، وحتى نبينا محمد وإبراهيم وإسحاق ـ عليهم السلام ـ قال : فأبكي القوم حتى نشجوا [١] .

وفي رواية مطرف بن الشخير عن كعب قال : كنت عند عمر فقال : يا كعب خوفنا ، فقلت : يا أمير المؤمنين إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة لا يبقي ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خرَّ ساجدًا على ركبتيه ، حتى إن إبراهيم خليله ـ عليه السلام ـ ليخر جاثيًا ويقول : نفسي نفسي ، لا أسألك اليوم إلا نفسي ، قال : فأطرق عمر مليًّا ، قال : قلت : يا أمير المؤمنين ، أولستم تجدون هذا في كتاب الله ـ عز وجل ؟ قال عمر : كيف ؟ قلت : يقول الله ـ عز وجل ـ في هذه الآية : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [٢] [النحل:١١١] .

وكان سعيد الجرمي يقول في موعظته إذا وصف الخائفين : كأن زفير النار في آذانهم .

وعن الحسن أنه قال في وصفهم : إذا مروا بآية فيها ذكر الجنة بكوا شوقًا ، وإذا مروا بآية فيها ذكر النار ضجوا صراخًا كأن زفير جهنم عند أصول آذانهم .

وروى ابن أبي الدنيا وغيره عن أبي وائل قال : خرجنا مع ابن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم ، فأتينا على تنور على شاطئ الفرات ، فلما رآه عبد الله والنار تلتهب في جوفه قرأ هذه الآية : ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [الفرقان:١٢،١٣] فصعق الربيع بن خثيم فاحتملناه إلى أهله ، فرابطه عبد الله حتى صلى الناس الظهر فلم يفق ، ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ، ثم رابطه إلى المغرب

---

(١) المصدر السابق ٥/ ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

فأفاق ، فرجع عبد الله إلى أهله .

ومن رواية مسمع بن عاصم قال : بت أنا وعبد العزيز بن سليمان ، وكلاب بن جري ، وسلمان الأعرج ، على ساحل من بعض السواحل ، فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ، ثم بكى عبد العزيز لبكائه ، ثم بكى سلمان لبكائهما ، وبكيت والله لبكائهم لا أدري ما أبكاهم ، فلما كان بعد سألت عبد العزيز فقلت : يا أبا محمد ، ما الذي أبكاك ليلتئذ ؟ قال : إني والله نظرت إلى أمواج البحر تموج وتجيل فذكرت أطباق النيران وزفراتها فذلك الذي أبكاني ، ثم سألت كلابًا أيضًا نحوًا مما سألت عبد العزيز فوالله لكأنما سمع قصته ، فقال لي مثل ذلك ، ثم سألت سلمان الأعرج نحوًا مما سألتهما ، فقال لي : ما كان في القوم شر مني ، ما كان بكائي إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم ـ رحمهم الله تعالى[1].

*****

(١) ابن أبي الدنيا في : الرقة والبكاء ١/ ٥٨(٥٥) .